المحاضرة الرابعة

فروع الأنثربولوجيا (تابع)

الأنثربولوجيا الاجتماعية

يشار إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية بأنها تمثل أحد فروع ومجالات البحث داخل الأنثربولوجيا العامة ، يهتم ويختص بدراسة خصائص النظم والكيانات الاجتماعية ، والنماذج السلوكية الاجتماعية التي تتجلى وتتمظهر في إطارها ، والعلاقة بين تلك النظم ، وكيف تؤدي تلك العلاقة إلى تحقيق التوازن على مستوى الكيان أو النظام الكلي المتمثل في المجتمع ، ومن أمثلة تلك النظم الأسرة ، ونسق القرابة ، الجيرة ، النظام السياسي ، النظام الاقتصادي ، النظام الثقافي ...وغيرها من النظم .

ويذهب "**إيفانس بريتشارد** "إلى أن اهتمام الأنثربولوجيا الاجتماعية يجب أن يكون منصبا على "دراسة النظم الاجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيمات السياسية والإجراءات الضبطية القانونية والدينية ، وكل السلوكات الاجتماعية المتولدة داخل هذه النظم ، كما تدرس الأنثربولوجيا الاجتماعية كذلك العلاقة بين النظم الاجتماعية سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية ، التي تتوفر عنها معلومات مناسبة تساعد على القيام بالأبحاث والدراسات .

والنظام بالتعريف عبارة جهاز لقولبة النماذج السلوكية في إطاره ، ووفق شروطه المتعارف عليها من طرف أفراد المجتمع ، بشكل متجانس ومنتظم .

وقد حدث جدل علمي كبير بين المدرستين البريطانية والأمريكية حول تحديد موضوع الأنثربولوجيا الاجتماعية :

- **المدرسة البريطانية** : ترى بأن موضوع الأنثربولوجيا الاجتماعية يجب أن ينظر إلى النظام الثقافي كأحد الأنظمة الفرعية المكونة للنظام العام للمجتمع ، وبالتالي فإن الأنثربولوجيا الاجتماعية تستوعب داخلها الأنثربولوجيا الثقافية . -

- **المدرسة الأمريكية** : و ترى أن موضوع الأنثربولوجيا الاجتماعية يمثل فرع من فروع الأنثربولوجيا الثقافية على اعتبار أن هذه الأخيرة تعتبر الأساس المحدد للأنماط السلوكية ولطابع الحياة الاجتماعية برمتها ، من حيث كون عناصرها ومكوناتها المتمثلة في منظومة القواعد والقيم ، و تعمل كموجهات للسلوك العام ، كما تعمل كأداة لتحقيق السيطرة والضبط والتحكم والردع المجتمعي ، ومنه المحافظة على توازن النظام الاجتماعي ككل.

ومن جهة ثانية يجب الإشارة إلى أن تبني كل من المدرستين لمدخل نظري مختلف ، يعود خصوصية البيئة الاجتماعية والثقافية التي تميز كل من المجتمعين البريطاني والأمريكي أحدهما عن الآخر.

فالبريطانيون قد كانوا بحاجة إلى إعادة تنظيم المجتمع المحلي الذي كان حينها يعاني من التفكك .

أما المجتمع الأمريكي فهو عبارة عن فسيفساء ثقافية ، تتعايش فيه وتتجاور وتتناقض مجموعة كبيرة من الإثنيات والثقافات الفرعية ، لا تتوانى في التعصب لإظهار ذاتيتها ، ومن هنا فقد كانوا بحاجة إلى تأسيس ثقافة محورية تلتف حولها جميع أطياف المجتمع الأمريكي ، ومن هنا جاءت ضرورة التفعيل الإجرائي للعلم الأنثربولوجي اعتمادا على المدخل الثقافي .

وأيا كان الأمر فإن الفصل بين موضوعي الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية ينطوي على مثالب وصعوبات منهجية وموضوعية ، نظرا للتداخل بين الموضوعين ، بحيث لا يمكن الفصل بين الثقافي والاجتماعي في سياق الإيقاعات اليومية للحياة الإنسانية .

وبناء على ما سبق فإن موضوع الأنثربولوجيا كتخصص ضمن الأنثربولوجيا العامة ظهر داخل المدرسة البريطانية للدلالة على الدراسات التي ينصب اهتمامها على تحليل طبيعة الأنظمة والأبنية الاجتماعية ، والعلاقات البينية التي

تحكما ، تحت تأثير الطروحات النظرية التي مهد لها رواد البنائية الوظيفية خصوصا **"إميل دوركايم"**، التي تبناها فيما بعد **"رادكليف براون"** وغيره.

كما يشار إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية على أنه من أحدث الفروع العلمية ، ويعتبر **"جيمس فريزر"** أول من استخدم هذا المصطلح سنة 1908 بجامعة "ليفربول" بمناسبة تكريمها له بمنحها إياه لقب الأستاذ ، حيث ألقى بالمناسبة محاضرة تحت عنوان **" مجال الأنثربولوجيا الاجتماعية "** تناول فيها موضوع الأنثربولوجيا الاجتماعية بأنها " تحاول الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية ، وتفسر ماضي الحياة الإنسانية بهدف التمكن من التنبؤ بمستقبل البشرية على أساس أن الطبيعة البشرية واحدة في كل زمان ومكان "

وقد ركزت الدراسات الحقلية الأولى للأنثربولوجيا الاجتماعية على دراسة المجتمعات أو الجماعات الصغيرة لعاملين رئيسيين هما :

الأول : أن المختصين في البداية قد كانت تنقصهم الخبرة والتراكم المعرفي ، والحنكة المنهجية في التعامل مع ميدان الدراسة ، لذلك أبدوا تحفظا في البداية تجاه دراسة المجتمعات المعقدة والمركبة ، إضافة إلى أنه ومن الناحية المنطقية فإن التراكم المعرفي والخبرات تأخذ عادة منحا تصاعديا من البسيط إلى المعقد .

الثاني : فإن المجتمعات الصغيرة على بساطتها فهي متجانسة من حيث الأصول السلالية والاجتماعية وقلة عدد الأفراد ، كما أنها عادة ذات بناء مهني بسيط متراوح بين الفلاحة والرعي والحرف ، إضافة إلى وضوح توزيع الأدوار والمراتب الاجتماعية والتكامل البنائي بين مختلف الأنظمة الأسرية والقرابية ، ونظم القيادة وغيرها ، الأمر الذي يجعل الباحث يكتشف بسهولة أساليبها المعيشية ، وأنماط التفكير ، والدلالات السوسيوثقافية للسلوكيات اليومية داخل تلك المجتمعات .